

[السيدة بنت القائم بأمر الله^(١)]

التي كانت زوجة طُغْرُبُك، كانت كثيرة الصدقات، صلَّى عليها المستظهر، وهي عمّة أبيه المقتدي، وجلس الوزير في العزاء ثلاثة أيام في الديوان، وحُملت إلى الرُصافة]

السنة السابعة والتسعون وأربع مئة

فيها وقع الصلح بين الأخوة بركياروق [ومحمد وسنجر، على أن يكون اسمُ السلطنة لبركياروق]^(٢)، وضُرِبُ التُّوبَة في الصلوات الخمس على بابه، وأن يكون لمحمد أرمينية وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل، وأن يكون سنجر على خراسان بحاله، وأن يكون لبركياروق الجبل وهَمَذان وأصبهان والري وبغداد وأعمالها، والخطبة ببغداد لبركياروق، وسنجر ومحمد يخطبان لنفوسهما، وسبب هذا أن الفتن لَمَّا طالت بعث بركياروق القاضي أبا المظفر^(٣) الجرجاني إلى محمد شاه في رسالة^(٤)، فصعد المنبر، ومحمد حاضر، فذكر ما أمر الله به من إصلاح ذات البين، والنهي عن قطيعة الرحم، فأجاب محمد إلى الصلح، وتحالفا، ووصل الخبر إلى بغداد [فقطعت خطبة محمد، وأعيدت خطبة بركياروق.

وفيها أخرج الواعظ الغزنوي من بغداد^(٥) بسبب الفتن، فتوفي بإسفرايين.

[وفي رجب وردت مواكب الفرنج إلى اللاذقية مشحونة بالمقاتلة والتجار وغيرهم، ونزلوا على طرابلس مع صَنْجِيل، وأقاموا أياماً، وأمّنوا أهلها، ودخلوها، ثم غدروا بأهلها فقتلوهم]^(٦)

(١) هذه الترجمة من (ب)، وهي في المنتظم ٨٣/١٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، والنجوم الزاهرة ١٨٧/٥.

(٣) في (خ): مسألة، والمثبت من (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) والخبر في المنتظم ٨٥/١٧.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، والخبر بنحوه في الكامل ٣٧٢/١٠.

(٦) ما بين حاصرتين في (ب).

وفيها نزل الأمير سُكَّمان بن أرتُقُّ صاحب ماردین والأَمیر جكرمش صاحب الموصل على رأس العين في شعبان عازمين على لقاء الفرنج وقتالهم، ونهض يميند وطُعْتِكْري من أنطاكية إلى الرُّها بالعساكر لينجدا صاحبها، وعرف المسلمون، فساروا إلى قريب الرُّها، فصادفهم والتقوا، فنصر الله المسلمين عليهم، فقتلوا منهم عشرة آلاف مابين راجل وفارس، وانهزم يميند وطُعْتِكْري في نفر يسير، فقَوِيَتْ قلوب المسلمين.

وفيها نزل بَعْدَوِين صاحبُ القدس على عكَّا في البر والبحر في نَيْفٍ وتسعين مركباً، فحصرها من جميع الجهات، وقاتل أهلها حتى ضعفوا، وكان واليها زهر الدولة الجُيوشي، فعجز عنهم، فطلب الأمان له وللمسلمين فلم يُعْطوه، وأخذوها بالسيف في رمضان - وقيل: في شعبان - وجاء زهر الدولة منهزماً إلى دمشق، فأحسن إليه طُعْتِكْين، ثم مضى إلى مصر، وكان صَنْجِيل صاحب أنطاكية قد بنى على طرابلس حصناً ليأخذها به، وشحنه بالرجال والأموال والسلاح، فخرج القاضي ابنُ عمار في عسكره في ذي الحجة وهجم هذا الحصن على غرة، فقتل مَنْ فيه ونهبه، وأخذ من المال والسلاح والمتاع شيئاً كثيراً وهدمه، وعاد إلى طرابلس سالمًا غانماً.

وفيها خرجت الفرنج من الرُّها، وانقسموا قسمين، قسم قصدوا حرَّان، والآخر الرقة، فنزل سُكَّمان من ماردین، وكان سالم بن بدر العقيلي في بني عقيل نازلاً على عين العروس، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وأسير سالم، وكانت الدَّبْرَة على الفرنج، فانهزموا وقُتِلَ منهم خلقٌ كثير.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسين بن حَيْدِرة

أبو الحسين، ويُعرف بابن خُراسان، الطرابلسي، الشاعر، هجا فخر الملك بن عمار وأخاه، فأمر به فضرب حتى مات، ودفن بطرابلس، ومن شعره: [من الطويل]
[سقا الله أرضاً نهرها البحر طافياً وأرجاؤها من كل ناحية خُضْرُ

جداولها خمراً ومِسْكُ ثُرَابِهَا
أُرْجِي اصْطِبَاراً عَنْ هَوَاهَا وَطَيْبِهَا
وقال: [من البسيط]

أحبابنا غيرُ زُهْدٍ فِي مَحَبَّتِكُمْ
إِنْ زُرْتِكُمْ فَالْمَنِيَا فِي زِيَارَتِكُمْ
ولستُ أَرْجُو نَجَاحاً فِي زِيَارَتِكُمْ
وَأُنْثِي وَرِمَاخُ الْخَطِّ قَدْ حَكَمَتْ
وقال: [من الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنَّا النَّيْرَبَ الْفَرْدَ صَالِحاً
خَرَجْنَا عَلَى أَنَا نَقِيمٌ ثَلَاثَةٌ
لقد جمع المعنى الذي يُذهِبُ الْفِكْرَ[^(٣)]
فَطَابَ لَنَا حَتَّى أَقْمَنَا بِهَا عَشْرًا

إسماعيل بن علي^(٤)

ابن الحسن بن علي، أبو علي الجاجرمي، الأصم، النيسابوري، ولد سنة ست وأربع مئة، وطاف البلاد، وعاد إلى نيسابور فتوفي بها في المحرم. وكان واعظاً، زاهداً، ورعاً، صدوقاً، حسن الطريقة، ثقة.

دُقاق بن تَشُّش^(٥)

أبو نصر، شمس الملوك، صاحب دمشق، وليها بعد قتل أبيه تاج الدولة تَشُّش سنة سبع وثمانين وأربع مئة، وقام بأمره ظهير الدين أتابك، وتزوج والدته.

وقال ابن القلانسي: في هذه السنة عرض لدُقاق مرضٌ تطاول به، ووقع معه تخليط في الغذاء، فأوجب انتقاله إلى علة الدق، فلماً وقع اليأس منه تقدمت إليه والدته الخاتون صفوة

(١) الرَّعَائِبُ؛ جمع رُعبوب: وهي البيضاء الحلوة الناعمة. المعجم الوسيط (رعبب).

(٢) لا وان ولا ولس: لا بطيء ولا سريع.

(٣) ما بين حاصرتين من الشعر زيادة من (ب).

(٤) المنتظم ٨٧/١٧.

(٥) تاريخ دمشق ٧/٤٦٧-٤٦٨ و ١٧/٣٠٤ و ينظر السير ١٩/٢١٠

الملك بأن يوصي، فنصَّ على طُغْتِكِين في حضانة ولده الصغير تُتَش إلى حين يكبر، وتوفي في الثاني والعشرين من رمضان، ودُفِنَ على الشرف الشمالي بدمشق بقبة الطواويس، فشرع طُغْتِكِين في الإحسان إلى العساكر والرعية، وأطلق الأموال، وأكثر الصدقات، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وقمع المفسدين، فاستقامت له الأمور، وأجمع على طاعته الجمهور، وكان دُقاق قبل وفاته قد سيرَّ أخاه أرتاش إلى بعلبك، وأمر أن يُعتقل في الحصن عند واليه فخر [الدولة كُشْتِكِين التاجي، فرأى طُغْتِكِين في حكم ما يلزمه لأولاد تاج الدولة أن يرأس كُشْتِكِين في إطلاق أرتاش] ^(١) وإنفاذه إلى دمشق، فأطلقه الخادم، فتلقَّاه طُغْتِكِين وأكرمه، وأقام في منصب أخيه دُقاق، وتقدم إلى الأمراء بطاعته، وأجلسه في دَسْت المملكة لخمسة بقين من ذي الحجة، ولُقِّب أرتاش مجير الدين، ثم استوحش أرتاش من طُغْتِكِين ومن والده دُقاق، وأوقعت أمه في نفسه الخوف منهما، وأشارت عليه بالعود إلى بعلبك، فخرج من دمشق في صفر وقد قرَّر مع أيتكِين الحلبي صاحب بصرى الفساد، وجَمَعَ العساكر، وقاتل طُغْتِكِين، واجتمعاً بحوران، وراسلاً بَغْدوين صاحب القدس، وتوجَّها إليها، وأقاما عنده مدة بين الفرنج يُحرِّضانه على المسير إلى دمشق، ويبعثانه على إفساد أعمالها، فلم يحصلوا منه على طائل، فتوجَّها إلى ناحية الرحبة في البرية، وقضى الله بوفاة تُتَش بن دُقاق، وبسط طُغْتِكِين العدل، وأفاض الإحسان، ورخصت الأسعار، وكثرت الأدعية لَطُغْتِكِين. وقيل: إنَّ أم دُقاق سمَّته في عنقود من عنب، أدخلت فيه إبراً مسمومة، وبعثت به مع جارية إليه، ثم ندمت، وأرسلت إلى الجارية: لا تفعلي، وقد مات.

علي بن عبد الرحمن بن هارون ^(٢)

أبو الخطاب بن الجراح، ولد سنة عشر وأربع مئة، وكان فاضلاً، أديباً، من أهل بيت الفضل والرياسة، وصنَّف قصيدتين في القراءات، سمَّى إحداهما بـ«المكملة» والأخرى بـ«المستجدة».

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) المنتظم ٨٨/١٧، والكامل ٣٧٧-٣٧٨، ومعجم الأدباء ١٢/١٩٦-٢٠٥ وتنظر باقي المصادر في السير

وكانت وفاته في ذي الحجة، ودفن بباب أبرز عند أبي إسحاق الشيرازي، وكان صدوقاً ثقة.

العلاء بن الحسن^(١)

ابن وهب بن موصلايا، أبو سعد، الكاتب، الفاضل، خدم في كتابة الإنشاء للخلفاء خمساً وستين سنة.

وكان نصرانياً، فأسلم في سنة أربع وثمانين على يد المقتدي، وناب في الوزارة في أيامه وأيام المستظهر نوباً كثيرة، وكان كريم الأخلاق، طاهر اللسان، قال بعض أصحابه: شتمت يوماً غلاماً لي فوبّخني وقال: أنت قادر على تأديب الغلام أو صرّفه، فأما الفواحش والخنا والقذف فإياك والمعاودة إليه، فإنّ الطبع يسرق من الطبع، والصاحب يُستدّلُّ به على المصحوب.

وكانت وفاته فجأة، وكان قد أضرّ قبل موته، فكان يُملي على ابن أخيه أبي نصر إلى أن مات، وكان عميد الدولة ابن جَهير يثني عليهما ويقول: هما يمينا الدولة وأميها، ولا يُبرم أمراً دونهما، ومن شعر العلاء: [من الخفيف]

[يا خليلي خَلْيَانِي وَوَجْدِي
ودعاني فقد دعاني إلى الحُكْ
فَعَسَاهُ يَرْقُ إِذْ مَلَكَ الْقَلْدُ
ثُمَّ مَنْ ذَا يُجِيرُ مِنْهُ إِذَا جَا
وقال: [من الطويل]

أَجِنُّ إِلَى رَوْضِ التَّصَابِي وَأَرْتَاخُ
وأمتح^(٢) في حوض التّصافي وأمتاخُ
تصُدُّ يدي عنه سيوفُ وأرماخُ

(١) المنتظم ١٧/٨٩، والكامل ١٠/٣٧٧-٣٧٨، ومعجم الأدباء ١٢/١٩٦-٢٠٥. وتنظر باقي المصادر في السير ١٩/١٩٨.

(٢) من متح؛ أي: أخرج الماء من البئر بالدلو.

غزالاً إذا مالاخ أو فاح نشره
 وكرخية^(١) عذراء يُعذّر حبها
 إذا جليت في الكأس والليل ما انجلي
 يطوف بها ساق يسوق جماله
 به عجمة في اللفظ تُغري بوضله
 وعرته صبح وطرته دجى
 أباح دمي مذ بُحت في الحب باسمه
 ومن نشره: أمطاه الله غوارب^(٣) العلا وصهواتها، وأعطاه مطالب المني وشهواتها.

ومنه: كتابنا وملابس السلامة علينا ضافية سابغة، وموارد السعادة صافية سائغة.

السنة الثامنة والتسعون والأربع مئة

فيها توفّي بركياروق، ودخل السلطان محمد شاه بغداد وخطب له بالسلطنة، ثم خرج منها في شعبان إلى الجبل.

وفيها مرض أتابك طغتكين مرضاً خاف منه على نفسه، فكاتب الأمير سُكمان بن أرتق صاحب ماردين يستدعيه إلى دمشق في عسكره ليوصي إليه في حماية دمشق وأهله وولده، فجاء سُكمان فنزل القريتين، فلام طغتكين أصحابه، وقالوا: تُعطي ابن أرتق دمشق وتخرجها عن ولدك وولد مولاك، وكيف يكون حالنا؟ أوليس قد عرفت أئسز لماً استدعي تاج الدولة لنصرته كيف قتله واستولى على الشام، فانتبه طغتكين من غفلته وندم، فأرسل إليه: تثبّت مكانك، فأنا خارجٌ إلى خدمتك. فاتفق أنّ سُكمان مرض تلك الليلة مرضاً شديداً، وأصبح ميتاً، فأخذه أصحابه في تابوت، ورحلوا إلى ماردين، فسرّ طغتكين.

(١) كرخية؛ أي: منسوبة إلى الكرخ؛ وهي بلدة نواحي بغداد، وقد تقدمت كثيراً.

(٢) هذا البيت من (ب)، وهو في معجم الأدباء ١٢/١٩٩. والرّاح: الخمر.

(٣) الغوارب؛ جمع غارب: وهو ما بين السنام والعنق. تاج العروس (غرب).